

مفهوم الرافدين والحضارة في وادي الرافدين القديم

بقلم : مدام ايلينا كاسان
ترجمة : الدكتور وليد الجادر



العلم والفلسفة وفي الوقت نفسه لاتاحة الفرصة امام قراء العربية عموما للتعرف على اساس مهم من اساس فهم الحضارة في وادي الرافدين بجوانبها المتعددة ، ذلك هو دراسة مفاهيم العراقيين القدماء للزمان والمكان وعلاقة هذين العنصرين المهمين بابداعاتهم الحضارية . واؤكد على اهمية دراسة المكان والزمان وارتباطها بالماديات من الاشياء وكذلك بالقضايا النفسية والاسطورية عندهم ، ان لذلك اهمية خاصة تتعلق ايضا بالحياة اليومية للفرد العراقي وفلسفته للماضي والحاضر والمستقبل هذا اضافة الى الاهمية المعلقة على هذا الموضوع لارتباطه الوثيق بمفهوم الديانات في

متنمة المترجم :
في مؤتمر عقد في باريس كان في الواقع : الدورة الواقعة في الاسبوع الثامن والعشرين الخاصة بحوث المكان والزمان حسب مفاهيم الشعوب والفلاسفة ، والقت فيه الاستاذ ايلينا كاسان Elena Cassin في مركز البحوث العلمية الوطني في باريس ، محاضرة تحت عنوان : المكان والزمان في وادي الرافدين القديم⁽¹⁾ . وبمناسبة حضوري واعجابي بالوثائق المقدمة من قبل الاستاذة المحاضرة في وقتها ، فقد قررت ترجمة محاضرتها لتمكين اخواني من الاطلاع على راي الاستاذة الفديرة في هذا الحقل من حقول

(1) القيت المحاضرة في بداية عام ١٩٦٧ ونشرت في عام ١٩٦٩ في مجلة :

Revue de Synthèse : III No 55 - 56. Juillet - Décembre : 1969.

بالدرجة الاولى قوائم حكم الملوك^(٢) التي يؤرخ قسم منها من النصف الاول للالف الثاني ق م • ان هذه القوائم تذكر سني حكم ملوك وادي الرافدين منذ الفترة المسماة بفترة ما قبل الطوفان ، وفيما يتعلق بالالهة فان تتابع وتسلسل نسبهم وسلالاتهم تؤرخ على نفس النهج السابق ، ويكون ذلك منطلقا من اصل الالهة الاولى • وهكذا نجد من جملة قوائم نسب الالهة القائمة التسلسلية المنسوبة الى الالهة انو اله السماء ، حيث يتوفر فيها ذكر واحد وعشرين زوجا من الابهاء والامهات بشكل متسلسل بينما نجد ان تسلسل النسب للالهة في اسطورة الخليفة لا تذكر اكثر من ثلاثة ازواج • لقد جرت عبادة الاجداد القدماء في وادي الرافدين في العصر المسمى بعصر الالهة منذ عصور ما قبل التاريخ ، واكتشفت جماجم واقعة ملونة في مراكز حضارية معروفة في الشرق الاوسط منها تل الرماد (قرب دمشق في سوريا) وفي جريكو في الاردن وفي مواقع من فلسطين • وان مفهوم ممارسة تقديم القرابين بالنسبة للاجداد لعب دورا مهما في طبيعة الحياة الدينية في وادي الرافدين • ان اليوم المعروف بيوم تقديم القرابين الخاصة بالاموات والمسمى في الاكدية Um Kispim كان محمدا ومعروفا في الدورة القمرية او السنة القمرية^(٣) • انه

وادي الرافدين القديم وما لهذا الحقل ومكملاته من اهمية بالغة في سبيل هضم وفهم جوانب الحضارة العراقية القديمة او غيرها من الحضارات في العالم القديم^(١) •

كذلك تبرز اهمية هذا الموضوع لارتباطه بشكل مباشر بتنتاجات الفنون والاداب في هذه المنطقة ايضا ، ونعرف حتى اليوم اهمية دراسة عنصري المكان أو الفضاء والزمان في الفنون المعاصرة ، وقد لاحظنا اهمية هذين المنطلقين في فلسفة التنتاجات الفنية بالنسبة للفنانين في معظم العصور وفي معظم مناطق العالم •

نص المحاضرة :

نظرا لسعة الموضوع فقد قررت الوقوف عند شواهد رئيسية تتعلق بمفهوم المكان والزمان عند سكان وادي الرافدين القدماء وذلك انطلاقا من الوثائق المادية المتجسده في الادبيات المكتوبة بالسمازية ومنها تعابير تتعلق بالموضوع مباشرة ومنها ايضا ما يتعلق بالادبيات ذات الطابع الاسطوري •

اوضح اولا تحديد مفهوم الزمان كتتابع للسنين وهذا بالنتيجة زمان يعبر عنه ، انه ذو خط طولي ، ومستقيم • ان هذا الزمان تاريخي تؤيده

فترة ٢٤١٠٠٠ سنة • انظر للتوسع في هذا الموضوع، طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة • ج ١ (١٩٥٥) ط ٢ ص ١٠٣ (المترجم) •
(٣) انظر للتوسع في موضوع السنة القمرية وتقسيمات السنسة والشهر والاسبوع في وادي الرافدين كتاب البروفسور بوتيرو : الديانة عند البابليين La Religion Babyliouienne المترجم الى العربية من قبلنا وذلك في الصفحات ١٥٣ ٠٠٠ (المترجم)

(١) انظر ترجمتنا الى العربية لكتاب البروفسور جان بوتيرو، Jean Bottéro : « الديانة عند البابليين » من الاصل الفرنسي والمطبوع على نفقة جامعة بغداد ، ١٩٧٠ • « المترجم »
(٢) ان هذه القوائم تذكر سني حكم الملوك الذين حكموا في المدن الحضارية المهمة في القسم الجنوبي من وادي الرافدين وتقسيم فترات بقاء هؤلاء الملوك في حكم هذه المدن بالبالغة في عدد السنين ويرد مثلا جدول باسماء ثمانية من هؤلاء الملوك حكموا

التدفق وبمعنى اخر ينبوع دائم او خالد الجريان :
Kīma mē naqbi dārî zâra dârî"

مثل ينبوع ذي الجريان الخالد الذي جريانه يكون
ابدياً (١)

وكذلك نجد في الادبيات المسمارية المكتوبة ان
الملوك يمنون انفسهم ببقاء اسمائهم خالده ودائمه
(dârû) ، وبهذا الامل نجدهم يزيدون من
اهتمامهم ببناء معابد « خالدة » للالهة (٢) ، ومن ذلك
الاهتمام الخاص للملك الاشوري سنحاريب بما ابتناه
وشيده للاله شمس . وفي الرسائل التي ترجع للعصر
البابلي القديم نجد احيانا ان الرغبة في ترديد الحكم
والاقوال ذات الطابع البياني ليست خالية من مفاهيم
خاصة معبرة : -

« ليت سيدي يستطيع البقاء ابدياً ، مثل بقاء
السماء والارض »

وفي تعابير اخرى نجد ان الصفة (dârû) تشير
الى معنى « دائما » في نطاق الكلام عن الافراد من
البشر . وفي رسالة ترجع الى العهد البابلي
الحديث (٣) نجد التعبير التالي : -

« تستطيع الالهة ان تعطي الملك الى الابد
(ana darich) وللمستقبل (ana umê arkûte)
يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر ، عاماً بعد عام ، نشوة

اليوم المسمى "bubbulu" وهو اليوم الذي يصبح
فيه القمر معتماً تماماً . ان تقديس الاجداد مرتبط
بتقديس الالهة ، والاخيرة نعرف ارتباطها بعوائل
خاصة بها وتسمى ilâni وهذا التقديس اخذ

بمفهومه الابن البكر عن الأب بنفس المفهوم وبنفس
الممارسة التي يقوم بها الاب ، بان يعهد لابنه البكر
ختمه الاسطواني ، وارتباط الاخير بالتسلسل العائلي
معروف : ذلك ان الختم هذا يعتبر سر ومفتاح تفاسير
الاحلام والرؤيا وخلال ذلك نعرف ان رؤية الشخص
في الحلم شخصاً اخر وهو يسرق ختمه الاسطواني
فمعنى ذلك ان ابنة هذا الشخص او ابنه سيموت
كذلك فمن الناحية اللغوية نعرف بان حالات الظرف
في الاكدية مثل dâr تحمل صفة الاستمرارية

وكذلك الحال بالنسبة darisham, darish التي
تضمن نفس مفهوم حالة الظروف السابقة . والحال
نفسه يكون بالنسبة للموصوف والمنعوت مثل dûru
التي تحمل صفة الاستمرارية و dârû التي تعني
السلالة او النسل . والصفة المتمثلة في dârû
التي تعني الخالد والدائم لا يحتمل ان تشير الى فترة
محددة خاصة مثل ما نجده في مفهوم الكلمة العبرية
dûru (ولكن تشير dârû الى فترة مطلقة غير
محددة . وتقارن ذرية او نسل الفرد بماء ينبوع دائم

ملوك وادي الرافدين تقريباً . كذلك كان الهدف من
بناء المعابد وبناء الوحدات السكنية الاخرى ابتغاء
رضى الالهة وفرحها (المترجم) .

(٣) L. waterman, Royal Correspon-
dence of the Assyrian Empire
Vol. II No 1410. ligne 6 du
revers.

(١) Schollmeyer, Sumerisch - babylo-
nisch Hymnen und Gebete an
Samar. No 16, III, ligne 9.

(٢) نعرف ان المعابد تعتبر بالنسبة لمفاهيم
سكان وادي الرافدين القدماء ، بيوت الالهة على
الارض ومفهوم البناء بشكل عام لعب دوراً رئيسياً
في المنهاج السياسي المقدم قولاً وتنفيذاً من قبل كل

وبجانب التعبير الدال على الزمن المستمر بشكل
 ستقيم طولي والمتفق بصورة معادلة ، تتوفر ظواهر
 معينة من فترات ذات طابع دوري ، حيث نجد بعد
 مرور فترة طويلة نسيا تعود هذه الفترات الى نقطة
 انطلاقها الزمني الاول ، ونفهم ايضا بالمناسبة ان الفترة
 الزمنية الدورية يشار اليها بتعبير واسع المعنى وصعب
 الفهم السريع ، فالتعبير " BAL " ، في السومرية
 يعني في الاصل شيء مادي يدخل ضمن الاستعمالات
 اليومية الا وهو « المغزل » . والتعبير الاكدي الذي
 يقابل هذا التعبير والذي اشتق منه من الناحية
 اللغوية هو « Palû. » الذي يعني ايضا الزمن
 الدائر ، اي ان الزمن في حالة دوران حول نقطة
 مركزية . وبالنتيجة يعني الفترة التي يتم فيها انجاز
 عمل معين ومن ذلك ، فترة حكم ، وسنة حكم وفترة
 حكم سلالة بكاملها " palû " تعني ايضا مراحل
 الزمن الطويلة نسيا وذات الطابع المتشابه ولكنها مثل
 ما يفعله « Palû » من تغيير ، تكون هذه المراحل
 متغيرة ومنفصلة بوضوح الواحدة عن الاخرى وتكتسب
 صفة « Palû » ايضا مثل " dâr " اي انها
 تشير الى فترة زمنية ذات طابع استمراري . اتنا نجد
 مثلا التعبير الدال على هذا في اصطلاح يتعلق بعالم
 القانون وذلك منذ العصر البابلي القديم : الذي يعني
 بالضبط الاستمرارية والتبديل ana dūr u pala.

ونشير الى ان مسؤولية بائع العقار ثابتة مثلا ،
 انه ملزم الى الابد تجاه المشتري بعدم مطالبته باي من
 المسببات وعدم مطالبته ايضا بالعقار ثانية ، ويرد في
 نص ، وبالنسبة للزمن القادم ، ولكل الاجيال اللاحقة

القلب ، والصحة الجديدة ، والحبور والفرح والحكم
 العادل . * وتعني ترجمة « للمستقبل » بالضبط حسب
 الترجمة الحرفية للتعبير الاكدي : للايام في المستقبل
 والتعبير الذي يشير في الواقع الى المستقبل warkātu
 يعني : الشيء الذي هو واقع في ظهر او « خلف
 ظهر الفرد » . بينما تشير الكلمة Panānu الى
 الحدث الواقع في الماضي ، والكلمة متأية من اصل
 فعل يعني « مقابل » او « امام » . وهكذا ففي مفردات
 وتعابير خاصة بالمكان نجد ذكرا مشابها يعني الماضي
 والمستقبل بنفس الوقت . والمستقبل اذن هو الشيء
 الذي يقع في خلفية الفرد ، بينما الماضي هو الذي
 يقع بين عيني الفرد او امامه ، وهكذا فان الاجداد او
 الاسلاف هم الذين يسرون في المقدمة او حسب التعبير
 الاكدي : « الذين يسرون في الامام " ālikū i pāni .
 اما اذا اريد تسييت التعبير القانوني للوراثة
 والتسلسل العائلي فاننا نجد استعمال التعبير
 warkātu التي تعني « ما هو في الخلف » . اتنا
 نجد هذا التعبير بشكل دائم مستعملا فيما هو خاص
 بالقضايا القانونية التي ترتبط ايضا بقضايا العقود
 الدائره بين الأفراد . ان تحرير ابرام عقد ما (وهو
 عملية قانونية نفذها الافراد في وادي الرافدين بتراض
 وبشكل واع ومدهش يعني ايضا معانة معينة يكون
 فيها تبديل للزمن في المستقبل ، أي تطويل الحاضر
 في المستقبل ، وبمعنى اخر القاء الحاضر في المستقبل .
 اتنا نجد روحية الديمومة مستخدمة في صيغ
 العقود المتبادلة بين الافراد ومن نماذج ذلك :

مثلا « يشتري الاب لابنه اشترى المشتري الى الابد »
 "Kîma âbum ana mâri isham ana dâritim
 isham".

في الاطار الديني نجد انفسنا والحالة هذه امام نظام اخر للاشياء ، وكمثل على ذلك احد التعابير الواردة في اسطورة اترخاسيس^(١) والخاصة بخلق البشر، ويرد النص ان الاله « مامي » "Mami" تعاونت مع الاله الخاص بعنصر الماء وهو الاله « ايا » (المعروف

على البائع عدم المطالبة وعدم تقديم اي شكوى تتعلق بالعقار المباع » ونشير ايضا الى اننا نظل دائما في حدود فترة او الزمن التاريخي في حالة استعمال كلمات هي من صيغ cāru , pālu وفي حالة اجتيازنا الاختبار الخاص بالذات والكونيات التي تمدد الزمان

ارتياحه لاجراء الاله انليل هذا ويظهر احتجاجة وتكون النتيجة غضب الاله انليل تجاه هذا الاحتجاج ويقرر بعدئذ مانعرفه بالطوفان ، والقصة من فعلة القضاء على كل الانواع من البشر على الارض وبمعونة الاله انكي ينجو من الموت اترخاسيس وعائلته فقط وينجح الاخير ليكون مجموعة جديدة من البشر على الارض .

وبين رغبة الاله انكي في انقاذ البشر الجديد وبين رغبة انليل في عدم تعريض عالم الالهة الى الاضطراب والفضوى نجد ان الجيل الجديد بعد اترخاسيس والطوفان يتعرض الى عدد من الحوادث تذكرنا بنظرية مالثوس ، فنجد تعرض الجيل الى عواقب معينة تحيل بينه وبين زيادة السكان ونجد تعابيرا واضحة في القصة تنورنا عن ذلك ومنها :

« من الان لن يبق الا الثلث من مجسموع البشرية القديمة . بين جيل البشر ، سوف يكون العديد من النساء العاقرات . والى جانب المخصبات ، هناك شيطانة نخمد (هذا الاخصاب) ، وتأتي لتفعل الاطفال من احضان الامهات الثلاثي ولدن اطفالهن ، وتصبح الامهات بعدئذ كاهنات من الطبقة الاولى والثانية ، كذلك يصبحن عاملات في المعبد ، ولتبع الرجال من الاتصال بهن ، فقد حرمن من انجاب الاطفال . »

الترجمة هذه من اصل الرقيم الطيني لمنحمة: XLVI, PL: XX وهي مترجمة من قبل البرفسور جان بوتيرو ، انظر :

Annuaire (1968-1969) : École Pratique des Hautes études. IVE section. P: 83-84.

انظر ايضا :

W. G. Lambert and A. R. Millard: Atrahasis, The Babylonian story of The Flood. oxford, 1969. P. 1...

(١) ان التعبير هذا جاء في رقيم طيني اكتشف مؤخرا وهو من الرقم المكلمة لأسطورة اترخاسيس وللرقيم المكتشف ايضا علاقة بقصة الطوفان ، ويتعلق ايضا بالرقيم الحادي عشر من اسطورة كلكامش والفضل يعود في اكتشاف وترجمة وتحليل القطع المكتشفة مؤخرا الى البروفسور M. W. G. Lambert. ولقد اقترح ايضا البروفسور Jean Bottéro ترجمة لها خلال محاضراته بكلية

الدراسات العليا في باريس وملخص اسطورة اترخاسيس بعد ترجمة ، جان بوتيرو : البحث في اصل الانسان ومعنى الوجود البشري والحياة البشرية. وحسبما يفسرها مؤلف الاسطورة فان خلق الانسان كان بهدف خدمة الالهة ولأجل استغلال ثرواتهم لفائدة الالهة والاستعاضة عن خدمة الالهة الدنيا او الثانوية ، وتنتهي هذا الاستعاضة بثورة عارسة تكون نتيجتها حصول الالهة الثانوية على ترقيتهم اولا ثم انهاء دورهم كخدم للالهة الكبار . ويمارس البشر من جهة ثانية نشاطاتهم على الارض واستغلال خيراتها لحساب الالهة . ولكن نتيجة لتزايد نفوس البشر والالهة ايضا تحدث ضوضاء وفوضى كبيرة يكون من شأنها اطلاق راحة الطبقة العليا من الالهة وهي ذات السن الكبير والمحتاجة الى الهدوء والراحة وبهذا يكون قرار الالهة « انليل » (قائد الالهة الى الحرب ومنذ قرارات العقاب في الدولة الكونية والمساهم في اعمال العنف المشروعة ، وهذه جوانب بسيطة من اختصاصات هذا الاله) لتقليل وتقليص نفوس الافراد من البشر ، لقد احل عليهم المرض فعلا والمساهم في خلق ويكون رد فعل الاله المنفذ فعلا والمساهم في خلق البشر ، وهو الاله انكي (اله الحياة ويسمى ايضا ايسو ، الذي يعني بيت الابسو اي بيت الماء ، انه الاله السومري الذي كانت عبادته الرئيسية في مدينة اريديو « ابر شهرين » ولقد عرفه البابليون تحت اسم « ايا » وارادوا به ابا لمدوخ) التعبير عن عدم

والشعور بهذا الوقت المختلف يكون لاعتبارات شبيهه حيث ان كل اعتبار معين او نقطة معينة تساوي وحدة مجموعة •

ان هذا الاعتبار يذكرنا بالمعنى المقارب السني يعطيه التعبير palu وهذا التعبير يحدد سنة من سني الحكم وكذلك يحدد كل فترة الحكم ويحدد ايضا فترة حكم سلالة بكاملها • ففي حالة التعبير palu بقصد تقليص الفترة الزمنية بمراحل تتعلق بفترات مشابهة من نفس النوع ولكن ذات المراحل الزمنية مختلفة • وعندما نجد في الاسطورة ان اليوم الواحد يعادل شهرا فان ذلك يعني ان مدة التسعة اشهر اللازمة للحمل الطبيعي قد اختصرت واستعوض عنها بتسعة ايام : فترة الحمل الالهي • وبأتباع نفس الاساس في القياس الزمني نجد ان العشرة ايام التي كانت مخصصة للاحتفال بعيد الاكيتو (٣) akitu

هي في الواقع موعد لكل فترة السنة حيث تعظيم دور الاله مردوخ في تنظيم الكون والعالم ويكون ذلك بتلاوة نصوص من ملحمة او اسطورة الخليفة الاينو مايلش ، ويعظم الاله بابل على انه حلل الهه السماء والارض ، ويأمل لمثل مردوخ على الارض وهو الملك ولشعبه مصيرا حسنا في الاثني عشر شهرا القادمة •

ان اسطورة الخليفة تصف اذن كيفية ظهور تيامت (٤) والاپسو Tianatiapsû بشكل

باسم انكي عند السومرين) وذلك من اجل خلط الطين مع دم اله مذبوح كقربان • ومن قطعة الطين هذه اخذ الاله « ايا » اربعة عشر قطعة وضع سبعة منها على جهته اليمنى) والسبعة الاخرى على جهته اليسرى ووضع الاخير على شكل طابوقة • وبتعبير كلامي من الالهة مامي يتم خلق سبعة ازواج بشرية من الجنسين تكون مربوطة من جبال السرة بالطابوقة التي تمثل في هذه الحالة الرحم ، ثم تنهي الالهة مامي كلامها بالتعبير التالي : (خلال تسعة ايام تبقى الطابوقة على الارض) واننا من خلال هذا الشاهد نفهم ان التسعة ايام التي وردت في كلام مامي تطابق اشهر الحمل التسعة الطبيعية عند البشر وهذه الفترة المحددة نجدها مأخوذة بنظر الاعتبار في اسطورة سومرية تعرف بأسطورة انكي ونخرسك حيث نجد فيها ان الالهة نمو Ninmu (١) تستسلم في حجرها بدور الاخصاب من الاله انكي •

في يوم واحد تنهي الشهر الاول من الحمل وفي يومين تكمل الشهرين منه وفي تسعة ايام تكمل التسعة اشهر وفي شهر الولادة تلد نمو الالهة نينكورا Ninkura • •

والالهة المولدة تخصب بدورها من قبل الاله انكي وتكون مدة حملها منه بنفس المعادلة او القياس انزمي السابق (٢) •

الشهر الواحد يعادل يوما واحدا ذلك لان الزمن في الاسطورة ذو قيمة مختلفة عن الواقع

(٣) الاكيتو : بمعنى عيد رأس السنة البابلية ويجري في فصل الربيع وللميد السنوي هذا ارتباط بعالم الزراعة •
(٤) الهة الحياة المالحة •

(١) الالهة نمو ابنة الالهة نخرسك :

S. N. Kramer : L'Histoire Commence a Sumer. p. 195.

(٢) نفس المصدر ص ١٩٥ S. N. Kramer..

جثة الالهه تيامت ليكمل به الشكل الثاني لصورة الارض :

« لقد وضع رأس تيامت وعليه نصب الجبال ، واطلق المياه العميقة ليرتفع موج ، وفتح في عينها دجلة والفرات ، وغلق منحريها ليجعل فيها منابع مائية ، وعلى ثديها رفع الجبال العالية وقطع فيها مسالك مائية ذات سيول ، ولوى مؤخرتها وطواها مثل الجبل^(١) .

خلال هذا الوصف للارض وصورتها يمكن ان يتخيل المرء انها اصبحت بشكل سد مانع لحصر سيول المياه الغزيرة . وفي اوصاف تقليدية اخرى خاصة بتكوين العالم نجدها يخص القسم الجنوبي من وادي الرافدين حيث ظهور الفكرة المتعلقة بخلق الارض وانها تنطلق من نقطة ذات صفة خاصة مميزة ، ونجد في ترايل دينية خاصة بتطهير معبد بورسبا بداية تذكر :

« عندما لم يكن اي شيء مخلوق بعد ، معبدا كان او مسكنا للالهه ، قسبا او شجرا ، طابوقا اولبناء بيوتا او مدنا ورجالا ومدنا مقدسة مثل نيور والوركاء بمعابدها التي لم يكن حتى الايسو كائنا بعد ، ولم تكن حتى مدينة اريدو مشيدة وكل البلاد لم تكن الا بحرا يتدفق منه ينبوع من الماء ، وبعد ذلك فان اريدو تشيد اول الامر ، ويشيد معبدها ، كذلك تشيد بابل ومعبدها ، ويشيد ايضا بعد الايزاكيلا^(٢) »

تدريجي من اصول عديمة الحركة ويظهر التناقض بينهما كآلهة ذات قوة مختلفة وبنفس الوقت يكون جبهة ضد القوى الالهية القديمة الاولى او الاصلية . اتنا نجد الايسو عنصر المياه العذبة يندحر اولاً في نضاله وصراعه ضد هذه الالهة القديمة بينما يتابع تيامت النضال وتقود حرباً شعواء بقصد الانتقام لشريكها ايسو . وتجاه ضراوة تيامت وحلفائها من المخلوقات الوحشية تقوم الجبهة الاخرى الالهة القديمة ، بخلق بطل هو مردوخ وتنسبه كأبن للاله ايا وتمده بقوى خارقه وبأسلحة غير مرئية ويتمكن هذا من ذبح تيامت واندحارها امام مردوخ وتكسيل اتباعها بالسلاسل يعلن انتصار الالهة القديمة على الفوضى ويبدأ بشكل جديد خلق الكون على الارض وبهذه الخلاصة لجزء من ملحمة الخليفة نتقل من حقل عامل الزمن الى مفهوم المكان .

فبعد التمثيل بجثة تيامت وتقسيمها الى شطرين يعمل مردوخ من احدهما السماء ومن الشطر الاخر الارض ، ونعرف ان المواد الاولى المكونة للارض كانت معدة من قبل الاله انو اله السماء وخلقته للتراب وبنفس الوقت للرياح الاربع التي تثيره وتسبب حركته وهكذا فقد استقرت بالنتيجة موجات الاتربة على المحيطات المائية وظهرت بنفس الوقت المستنقعات وفوق هذه المادة المعمولة من الارض والطافية بشكل غير مستو استفاد الاله مردوخ من القسم الثاني من

(٢) ال E-Sag-il : ويعني المعبد ذا الهيكل او القبة المرتفعة والكائن في مدينة بابل . انظر للتوسع ، جان بوتيرو : الديانة عند البابليين المترجم من قبلنا ص ٤١ . (المترجم)

(١) R. Labat, les origines et la formation de la terre dans le Poème Babylonien de la création, P. 7-8

الخامس من الاسطورة : « ان الارض عندما لم يكمل تكوينها كلياً ، وضعت على الايسو ، وكان قصر الاله ازل بناء يشيده عليها الاله مردوخ ، وكان هذا البناء ، العمل الحقيقي على الارض وسمي الاشارا ، Esharra الذي يعني بيت السماء .

كذلك نجد الانسجام الحقيقي بين السماء والارض حيث يرد ان كل ما في السماء يوجد له انعكاس على الارض وبالعكس . ولقد وجدنا بان العناصر المكونة للمكون كانت محضرة مسبقاً من قبل الخالق ، وليس فقط المادة الاولية التي منها صنعت الارض ، فالتراب كان موجوداً وكذلك الرياح التي حركت الاتربة هذه وسببت تراكمها في مناطق مختلفة . وفعل مردوخ يتركز في الواقع في صياغة هذه المادة الاولية وتنظيم العالم منها . لقد بدء مردوخ فعله او عمله بفصل السماء عن الارض وذلك بواسطة قطع الاله تيامت بشكل عرضي الى قسمين (كما يفعل صيادوا السمك العراقيون باسماهم حتى اليوم) والتنسيق الذي فرضه الخالق على المحيط او المناخ العام للارض لم يكن كاملاً او منظماً بعد ، اي انه ما زال في حالة فوضى ، ولم يكن تنسيقاً نهائياً ، فكان يكفي حدث بسيط ليعيد اليها اختلال التوازن وعدم الاستقرار .

وهكذا نجد ان اسطورة اترخاسيس تذكر

نماذج ابولو ، وتعرف عنها نماذج عديدة اخرى معمولة من الذهب والفضة سرقتها الغزاة من الشعوب المجاورة وذلك خلال الحروب المقدسة ضد مدن اليونان في عام ٢٧٨ ق م (المترجم) .

ومن خلال الوصف السابق للارض نجد ان المعبد كان اول ما شيد عليها وذلك من قبل الاله وهذا المفهوم لاول مكان مقدس ، ومنطلقاً منه تكاثر الخلق والنسل ونجد ما يشبه هذا المفهوم عند الاغريق مثلاً: فقد ، عمل هؤلاء من مدينة دلف Delphes ^(١) سرّة للعالم والكون . كذلك نجد ان الكتاب العرب يذكرون الكعبة بمكان يابس يطوف على الماء وذلك قبل ان يخلق الله السموات والارض باربعين عاماً . وهكذا نجد ترابطاً بين هذا المفهوم الاخير لموضع ومكان الكعبة وبين ما اراده القدماء من مدينة القدس ومعبدها وكونهما مركز الارض .

والتقاليد الخاصة بشيوع الكون استناداً الى مصادرها من التراث الديني الخاصه بوادي الرافدين تذكر ان الاله مردوخ يقوم بحياكة بناء من القصب فوق المياه وذلك بعد خلقه للتراب الذي جعله مكديساً فوق البناء ، وبعد خلقه لمعبد الايزاكيل في بابل . اننا نجد هنا: عنصران يثبت ان الارض استعوض عنها بالحصى المصنوع من القصب المغطى بالتراب ويراد بها المكان المقدس وهو هنا بابل . ومن المحتمل ايضاً ان يكون اصل المفهوم هذا رمزاً للمدينة اريدو وابدل المكان ، بعد ازدهار بابل على يد السلالة الامورية بمدينة بابل .

ونشير ان اسطورة الاينو مايليش تورد بابل على انها المدينة الاولى التي شيدت . ويرد في نهاية الرقيم

(١) مدينة دلف ، احدى المدن اليونانية القديمة وتقع في الاطراف الجنوبية الغربية من مرتفعات پارناس . تعتبر هذه المدينة من المدن التي احتوت على اكبر الكنوز التي ضمت نماذج عديدة من فنون النحت الاغريقي القديم ، ومن ابداعها

الاله متعبه جدا ، وعندما يصبح تطور البشر مقلقا ومخيفا للالهة نجد الاخيرين يخططون لما يعرف بالطوفان ، فالبشرية بالنتيجة تنهي بهذا الحدث دوره او مرحلة • زاهارب الوحيد من هذا المصير هو ، اترخاسيس والذي يعني اسمه:العاقل جدا او الحكيم ويمثل امل البشرية والعنصر الذي منه تبدأ الدورة او المرحلة الجديدة المعروفة بـ «ما بعد الطوفان» والتي تأخذ مجراها التطوري وتسلسلها الجديد ضمن مراحل الزمن ، وهكذا فالطوفان يمثل نهاية دورة زمنية ، وبداية دورة جديدة •

ونجد اترخاسيس ممثلا لدور البطل في الاسطورة ومعه زوجته وأفراد عائلته وأقربائه الجغرفيين الذين اصطحبهم معه في القارب Elippu الذي كان يقوده الاله ايا باتجاه تراب الارض ، ويرد هذا التعبير الاخير في النص الاشوري من الملحمة ، اما في ملحمة الطوفان فنجد ذكرا للقارب ثم القصر ويعني هذا البناء الذي التجأ اليه اوتونايشتم - الرقيم الحادي عشر من ملحمة كلكامش • ان قياسات هذا البناء تحسب على اساس انها متكونه من ٣٦٠٠ م ٢م و ٦٠ مترا للارتفاع ، واما السقف فيكون بطول ٦٠ م من كل جانب ويلاحظ ان الشكل يبدو اقرب الى المكعب وكل ضلع فيه ٦٠ م • وفوق المكعب هذا عملت ستة جسور متوالية بشكل يصبح فيه المكعب مقسما الى سبعة طوابق ، مثل عدد ايام الاسبوع ، ويكون سطح

مبادرة الاله انليل سيد الريح والمهاض للبشرية ووجودها لوضع خطة لتدمير البشرية المخلوقة^(١) التي ستصبح بالنتيجة ، وبرغبة الالهة مثيرة للضوضاء والفوضى وتكرر عملية الصراع في اسطورة الاينوما ايلش بين الالهة الشباب النشطين ذوي البطش المتطور خلال تطور الاجيال وبين القوى الاخرى المتمثلة بالالهة القديمة الساكنة ، وذات نشاط الفيزيوي العتيق ، ويكون حليقا لقوة الالهة الشابا القوى البشرية المتزايدة عددا ونوعية ، اما النتيجة فتكون ضوضاء عارمة تجتاح الارض مثل تور هانج ، وتسبب هذه الضوضاء في منع الالهة انليل ، اقوى الالهة في الارض • من النوم الهادي^(٢) •

ان زيادة عدد الرجل على الارض بشكل كبير نلمسه في اسطورة الاينوما ايلش وعلى اساس ان هذه الزيادة تكون عنصر تشويش يجاوز حد تحمل الالهة ويعتبر كفعل تخريبي فانه يستلزم بالنتيجة العقاب انصارم •

كذلك يظهر في الاسطورتين : الاينوما ايلش و اترخاسيس ، تضاد واضح ورئيسي بين ما هو مرحلي وبين ما هو في تطور وزيادة من الناحيتين العددية والنوعية • ففي اسطورة اترخاسيس نجد ان البشر قد خلقوا من قبل الالهة لخدمة وتأمين راحة طبقة من الالهة ، الاكيكي^(٣) ، ذلك لان واجبات

La splendeur Divine
Lambert-Millard. ibid. P 66.. انظر أيضا :

(٢) الاكيكي : تعبير اصله سومري ويشير الى مجموعة الالهة من الدرجة الثانية ومقر هؤلاء في السماء ويعتبرون اولاداً للاله الكبير أنو Anu ومنقدي خططه ايضاً (المترجم) •

(١) W. G. Lambert, A. R. Millard, Atrah-
asjs, the babylonian story of
the flood. P-66-67

(٢) حول السيات الالهي انظر دراسة المؤلفة « الابهة الالهية » المعروضة من قبلنا في مجلة سومر العدد ١٩٦٨/٢٤ ص ٢٣١-٢٠٠ انظر ايضاً كتابها

بين السماء والارض وفي مساحة محددة ، لم يكن هناك اي عنصر مادي صلد غير هذا الصندوق المكعب وفي داخله : رجل واتباعه مع بذور عالم مخفف ، والمرحلة هنا مرحلة عالم ما قبل الخليقة ، وهكذا ، وبهذا المناخ من التابع تكون ملاحم واساطير الخليقة .

ان الطوفان يرمز ويمثل في الواقع عكس ما يراد بالخلق ، وتعتبر العملية الاخيرة قبل كل شيء ، مسألة تمييز ومن ثم تنظيم للمكان والى هذه المرحلة يكون انتصار الفوضى غير كامل بعد (٣) .

رغم كل ما سبق ذكره نعرف ان « تقاليدا » مكتوبة اخرى تؤكد ان اماكن مقدسة ظلت سالمة ولم تصلها مياه الطوفان المدمر ، ان من امثلة هذه الاماكن: مدينة سيار ، وهي مركز مهم من مراكز عبادة وتقديس الشمس واله الشمس في القسم الشمالي من بابل . كذلك نعرف عن وجود ارتباط بين هذه الاماكن المقدسة ، التي لم تستطع مياه الطوفان من الوصول اليها وبين العالم الصغير المحدد (Microcosme) الذي منه جاءت عملية الخلق .

ان كل مركز من هذه المراكز المقدسة لعب دورا رئيسا يشبه دور النواة في حيز المكان الاصلي القديم او الاولي ، ويمثل ايضا قوة مناقضة ، وعلى طول الخط ، للقوى المثلثة للفوضى . ودور هذه الاماكن يشابه دور المكعب الذي عرف انه يفوص

كل طابق مقسما بدوره الى تسعة مرافق . ومن ملاحظة الارقام هنا نجد استعمال مضاعف الرقم ثلاثة الذي هو ستة وتسعة وهذا مشابه لما نجده من الارقام الخاصة بالمخبا الارضي المسمى قارا في كتاب الاستا (١) حيث يكون القسم الاول من المخبا مقسما الى تسعة اقسام ، والقسم الوسطي الى ستة اقسام والقسم الاخير الى ثلاثة اقسام (٢) . ان الرقم ثلاثة ومضاعفاته تظهر ايضا في التفاصيل الخاصة ببناء سفينة اوتونايشتم ايضا ويرد في النص : « ستة اوزان من القار وثلاثة اوزان من النفط الخام ، وثلاثة اوزان من الزيت » .

وفي الشكل المكعب الموصوف الابعاد سلفا اختبا اوتونايشتم واتباعه عندما عصفت الريح .

« ... تمصف الريح فترة ستة ايام وسبع ليال ، والطوفان الهائج انسجم في ارتفاعه في البلاد » واخيرا عندما هدا الطوفان نجد النص التالي : « ... وكان الصمت وتحول البشر الى طين ، وكان ارتفاع الماء مستويا كالسقف » .

لقد اغرقت المياه وغطت كل الارض ما عدا اقاصي البحار او غرق جبل رئيسي في الاربعة عشر اتجاها ، وعلى احد هذه الجبال ، قمة Nitsir حط اوتونايشتم .
احدد من تفاصيل هذه الملحمة المعقدة : ان مكعبا يطوف على سطح الماء ، الغطي لكل الارض ،

(٣) يراد بالفوضى هنا ، وفي اماكن اخرى ذكرت في مضمون الاساطير موضوعة البحث ، اختلاط عناصر المادة في اوائل خلق الكون وبدايته ، قبل تنظيمه من قبل الالهة . (المترجم)

(١) الاستا : هو الكتاب المقدس للزردشتيين .
(٢) E. Benresiste, traditions indo-iran-
lennes des classes Sociales,
Journal Ariatique, (1938) P.
119. « المؤلفة »

ومن جديد نعود الى الصندوق ونجد العلاقة الوثيقة بينه وبين تمثيل شكل الارض وذلك حسب المفاهيم البابلية ، هذا اضافة الى العلاقة الموجودة بين الصندوق وشكل الارض وما نجده من تشابه في هذه العلاقة بما هو موجود في التقاليد العبرانية واليهودية والعربية ونلمس في هذه التقاليد انها ذات مفاهيم من اصل بابلي . كذلك نجد في النص الاشوري لاسطورة اترخاسيس ان الاله ايا يأمر العاقل الحكيم اترخاسيس ببناء قارب ويعلق الاخير عجزه عن تنفيذه ، وعلى تراب الارض يخطط الاله نفسه شكل مكعب ، ويعني هذا ان الاله حدد على الارض حيزا مكانيا مربع الزوايا وهو شكل السفينة . والتفسيرات الاخرى لعمل الاله هذا عديدة ومتناقضة . ان اول الاشياء التي تستجلب الاولوية في التفكير هو ان الها يقوم بتخطيط مادة معينة ويعني هذا ان الاله خالق للمادة هذه ، ويكون مفهوم السفينة ، مثل الارض من خلق اله ، ويعتبر الحيز المكاني المحدد على الارض من قبل الاله ايا عالما صغيرا على الارض Microcosme كذلك فان الجزء المكاني المربع يعني ويشير الى السفينة المثلثة في الواقع للارض ، وتعتبر اخر الارض نفسها .

وفي الواقع فان هناك تقاليد عديدة اخرى او مفاهيم تشير الى الشكل المربع بدل الاشارة الى « سرة الارض » . ولقد كانت مدينة بابل حسب ما يذكر

بمقدار ثلثيه في الماء ويظهر فيه على سطح « مياه الطوفان » الثلث المتبقي الذي يصل تقريبا الى علو السماء . وهذا الصندوق المكعب هو بمثابة نواة الارض ، انه العالم الصغير ، انه المكان الذي قاوم عناصر التخريب الوحشية التي اطلقها انليل .

ولقد كان انتهاء وظيفة وجود الصندوق المكعب بانتهاء الطوفان ، ويمثل الاول : الارض كوحدة مكانية منظمة ومشاركة ، ذلك لانه وكما تعكسه الاسطورة يمثل اداة او الة النجاة وسلاحه تحت تصرف اوتونايشتم ومعينه . انا نجد في النص الاكدي للاسطورة غموضا فيما يخص مؤسس المجموعة البشرية الجديدة بعد الطوفان . كذلك لا نجد اية اشارة تخص مرافقي اوتونايشتم وزوجته داخل المكعب . وان قرار الاله انليل بالعمل على تدمير البشرية ، و نجاة الهارب الوحيد وزوجته من الدمار المفروض على البشرية .

ان عدم قبول الاله ايا بقرار الاله انليل الخاص بتدمير البشرية يدل على دهاء مخطط ، ذلك ان نتيجة ومصير الهارب من دمار انليل المحتوم انه اصبح الها ، ويذكر المؤرخ بيروس^(١) في روايته الخاصة بالطوفان ان هناك نفحا الهيا خاصا ، كائنا في شخص الهارب هذا ، او بعبارة اخرى انه مؤله ، والذين معه ، وهم الذين تم انقاذهم ، فعادوا الى مدينة سيار المقدسة ونقلوا علومهم وحكمهم الى اولادهم والاجيال اللاحقة .

نظريته في خلق العالم اسطورة الاينومايليش . انظر : جان بوتيرو : الديانة عند البابليين ص ١٤١ « المترجم » .

(١) بيروس : كاهن بابلي في معبد بيل كتب باللغة الاغريقية في حوالي عام ٢٨٠ ق م تاريخ بابل في ثلاثة اجزاء ، ويتبع في وصفه لما يحص

والفرات ولمرات عديدة خلال العصور ، كذلك طبيعة الارض غير المستقرة التي اثرت وبطبيعة الحال بتمثيل مفهوم المكان بركامات الاتربة مثلا والتي اريد بها ان تقوم بوظيفة صد مياه الفوضى ، ثم نفهم عن احتمال انهيار هذه الركامات او السدود بين لحظة واخرى امام المياه الهائجة .

ان الطوفان في النصوص ذات الطابع الديني والتاريخي بصورة خاصة كان بقصد اظهار تجربة قياسية وتسن التجربة كانت معاناة بلد وأمة وهي نتيجة من نتائج الحرب والصراع والانحجار . وتشبه غارة الاعداء على بلد ما بـ « الطوان : abūbā-nish » وهنا كناية واستعارة عن تدمير جيوش الاعداء لكل ما يجابئها ، وعن جعلها للمدن المدحرة المقهورة اشبه بالارض المستوية وحالتها في اضطراب كمي . ويراد بذكر الطوان ايضا : انه تعطيل للحكم المنظم وشل للقوانين وتطبيقها ، ونتيجة هذه الاحوال خضوع هذا الشعب المنحدر وفقدانه نظمته زقوانينه المحددة والمميزة لصينة وطبيعة شخصيته ، ومن ثم فقدانه لكل مقومات كيانه وشخصيته .

وانعكاس هذه المفاهيم الخاصة بالشعوب نجده ايضا في صيغ قانونية عديدة ومكررة^(٢) ، كذلك فان نصوصا قانونية تكون مرتبطة بهذه المفاهيم ومن ذلك طريقة تأجيل دفع الديون ، وفي نفس

المؤرخ هيرودوتس^(١) ذات زوايا مربعة بوحدات قياسية متشابهة من كل جهاتها . وهذا واضح على اعتبار انها مربعة الزوايا ايضا . وفي اسطورة الاينومايثلش ، يسبق ذكر الرياح الاربعة المخلوقة من قبل انواله السماء ، ذكر الرياح السبعة ، وينطبق هذا على شكل الارض المربع الزوايا .

اننا نجد ايضا ما ينورنا عن مفاهيم سكان وادي الراندين لمفهوم المكان خلال انقاط المذكورة الخاصة بالزمان عندهم : ففي مجال عالم الاسطورة وعالم الحياة الاجتماعية وبصورة خاصة في الاحتفالات ، نجد تعادلا بين اليوم والشهر والسنة وتعادلا بين المكان ممثلا باجزاء مصخرة وبين الارض ككل . كذلك ندس تعاقبا بين ما هو متعلق بخلق مكان محدد بتنظيم وبين ما هو متعلق بالعودة الى القلق والفوضى .

ان تأثيرات البيئة الجغرافية ذات اثر بالغ في هذه المفاهيم ، فالتبدلات المفاجئة والسريعة التي تحدثها فيضانات الربيع المتأخرة لنهري دجلة والفرات وخاصة في منطقة بابل السهلية وتحول هذه المنطقة الى سطح مستو واسع المنظور مغطى بالطين ، كل هذا يمكن ان ينسب الى طريقة تفكير ومفهوم يأخذان بنظر الاعتبار ، ان كل شيء يمكن ان يتبدل او يتغير بين لحظة واخرى .

ثم نعرف عن تبدل مجرى النهرين ، دجلة

(٢) انظر مقال المؤلفة الخاص بهذا الجانب من النظم والقوانين في وادي الرافدين :
Symboles de cession immobilière
dans l'ancien droit méropata-
mian, Année Sociologique,
1952 (1955) P. 118 et: JESHO,
V. 2 (1962), P. 134-137 « المؤلفة »

(١) هيرودتس : كبير المؤرخين الاغريق المعروف لدى العرب بـ (أبو التاريخ) ولد في مدينة هاليكارناس حوالي عام ٤٨٤ ق.م وتوفي حوالي ٤٢٠ ق.م . رحلاته مشهورة يروي في مجلدات الحوادث والاساطير التي عرفتنا بحضارات الميديين والميديين والفرس وحضارة وادي الرافدين والحضارة الاغريقية . « المترجم » .

الأفراد^(١) . ان هذا الفعل في الواقع هو رجوع الى الفوضى والقلق بحجة الغاء الديون اكثر من ان يكون معالجة طبيعية وتذهب مطالبة اصحاب الاموال لمدينتهم هدرًا^(٢) .

ان قرارات من هذا القبيل كانت مألوفة من قبل السلطة وبشكل خاص خلال حكم السلالة البابلية الاولى في مدينة بابل وبصورة خاصة خلال تسلّم الملوك للسلطة وفي السنة الاولى او الثانية من سني حكمهم . وتفسير ذلك واضح نتيجة للاحداث التي يجابهها الملك في بداية تسلّمه للسلطة . وتعتبر هذه الاجراءات مبررة عن بدء مرحلة زمنية جديدة^(٣) . وهذا ما اريد به من استخدام التعبير *paig* الوارد تفصيل مفهومه في نماذج سابقة .

ان اشكال البيوت السكنية في مناطق وادي الرافدين الفسيحة الهمت كذلك انسجاما في التسلسل التاريخي لاشكال المدن البابلية على الصورة التي وردت في اسطورة الطوفان . ومن خلال الوثائق المكتوبة المتوفرة نعرف ايضا ان الفروق واضحة بين طراز المدينة وطراز سكنى الريف . ان الحيز المكاني المحدد وفوقه شكل المدينة يتميز بوضوح وعناية بناء الريف المحيط بالمدينة وكذلك يتميز عن ابنية الاراضي المتموجة القريبة .

ان عناصر التمييز واضحة لتوبيا ايضا ففي اللبنة الاكديّة يتميز الاصطلاح الخاص الدال على كل وحدة

المضمون مفهوم : « اعادة الحق او العدالة » ، *misharam sha Kānu* ان مفهوم هذا التعبير نجده في استعمالات الملوك بصورة خاصة وذلك حين الكلام عن الوضع الاقتصادي او في حالة الرغبة في اطلاق سراح الاشخاص والاموال التي تخضع لنفس المفهوم المتعلق بالمستقبل الدوري ، كذلك نجده في تابع الزمن الدوري في عملية الخلق والعودة الى المادة والشيء غير المخلوق بعد ، وفي الحالة الاخيرة فقط نجد ان الذي يلعب دوره هو مفهوم او حالة الرجوع الى الفوضى .

فالملك يصدر مرسوما ليعيد الحقوق المقتصبة مثلا او يصدره للجيلولة دون الوقوع في مأزق اقتصادي وذلك في حالة يكون فيها الافراد مثقلين بالديون وفي وضع غير جيد من الناحية الانتاجية وتكون البلاد في وضع ركود تام . وان اي معالجة نسيه لبعض هذه الاوضاع يعني محاولة خلق حالة من المساواة بين الافراد وهكذا فان سيد او ملك العدالة *Shar misharim* « يكون عملا هو بمثابة الطوفان ويقضي هذا السيد على كل عائق في طريق تنفيذه .

ان الوضع او الحالة الجديدة الناتجة من تنفيذ رغبة الملك باحداث الطوفان يعود بنا الى الابتداء من منطلق الصفر نسترجع حالة النظام والقوانين وذلك بعد تعطيل كل اتفاقيات الديون الدائسة بين

(٣) في الواقع ما زال الاخذ بهذا المفهوم في عالمنا المعاصر في الشرق بصورة خاصة فالقول ببدايته صفحة جديدة والبداية من جديد ، وفتح صفحة بيضاء . . . كل ذلك دليل على مفهوم دورة او مرحلة زمنية جديدة (المترجم) .

(١) انظر J. Battéro, J. E. S. H. O IV, 2 1961 P. 113 P 143 (المؤلف)

(٢) ان محاولة اعادة روح العدالة بتحرير العبيد مثلا تسبب تراكما في الديون على الاخيرين ايضا (المؤلف) .

من libbu التي تعني القلب وتعني ايضا داخل • وكذلك تشير وتعني كلمة bâbanu الجزء من المكان المشيد الذي يوجد خارج سور المدينة Extra muras وهو الجزء المضاد لجزء المدينة والواقع في داخل اسوارها الخارجية : ina Kerhi وهكذا نلمس بوضوح مدى عمق مفهوم حدود الباب سواء كان المقصود ، باب دار السكن او باب المدينة وان وجه او جزء الباب الخارجي هو الأكثر أهمية ومنطلقاً منه يبدو محيط مجال الفضاء الخارجي •

كذلك فان كل مخطط ذي حيز مكاني في وادي الرافدين يمثل ويرمز الى قوتين متضادتين : الاولى قوة جاذبية نحو المركز تحاول تركيز عالم الادارة والديانة في قلب المدينة وكذلك في داخل القصر والمعبد واما القوة الثانية البعيدة عن المركز فتحاول ان تجعل من الابواب اقطاب جذب للعالم الاقتصادي ككل وبنفس المفهوم المتعلق بالمكان ، مجال الارضية Karium المستدة على طول النهر والقنال ومنطلقاً من الابواب الخارجية للقوة الاولى يمكن الاتجاه نحو الفضاء او الحيز المكاني الخاص بمدينة ثانية حيث الحاجة الى الاسواق • ان مناخ هذه الوحدات المكانية يناقض ما يقال من ان طبيعة بعض المدن الممتدة احياناً على جزر ، تتوفر فيها امكانيات بناء عوالم

معمارية ونعرف ان الكلمة alu تعني المساحة المسطحة من الحيز المكاني ذات الشكل الدائري • كذلك نعرف ان المدينة الواحدة في بداية نشوء العمارة في وادي الرافدين كانت محاطة بجدران تتخللها بوابات وتكون تقوية هذه الجدران بواسطة الابراج المعروفة^(١) • ان بوابات المدن في مفاهيم حضارة سكان وادي الرافدين القديمة تمثل نقطة العبور بين الحيز المفتوح الخارجي والحيز المكاني المحدد للمدينة، والحيزان المكانيان يكونان مختلفين ايضا من الناحية النوعية • ان للباب ايضا معاني واسعة : انها في الاكدية اولا babu وهي تعني ايضا نوعاً من الحيز المكاني الذي يتعلق بالقسم الخارجي من المسكن او البناء • ونقول من الباب والى الخارج المتضاد ، مع : من الباب والى الداخل • ونجد ايضا انه في حالة الموافقة على تزويج بنت او بيع عقار ثابت بدون موافقة الاسرة او العائلة نجد استعمالاً للتعبير: «خارج الباب» • "ana bâbi" واستعماله في الحالتين السابقتين يدل على ان الانتقال خارج الفضاء او المكان «العائلي» اي الى العالم الخارجي^(٢) • ويستعمل الاسم bâbanu المشتق من bâbu ليعني مفهوم الفضاء الخارجي او المكان الخارجي الذي يشكل تضاداً مع كلمة bitanû المشتقة من bitu والتي تعني البيت، كذلك يشكل تضاداً مع libbanu المشتقة

(٢) ان تعابيراً مشابهة من ناحية اللفظ والمضمون نلمسها متداولة حتى بين الافراد في عراقنا اليوم سواء في حالة تزويج الفتاة ومفادرتها لمحيط عائلتها وانتقالها الى عالم عائلي جديد او بالنسبة لبيع دار السكن الذي يرتبط بمفاهيم ومعاني عميقة المغزى بالنسبة لمشيده الاصلي ومالكه (المترجم) •

(١) من الناحية المادية ومن خلال الحفريات التي اظهرت مخططات المدن واسوارها في وادي الرافدين القديم نعرف شيوع الاخذ بهذا المبدأ المعماري الذي يتميز بالطابع الدفاعي العسكري وطابع المركزية في السلطة على مجموعة معينة من الافراد وبضمنها المكان • (المترجم) •

لا مكان على كل مدينة من هذه المدن مجابتهما فذلك شكل خاص من العلاقات ونقول هنا ، ومرة اخرى ان كل مدينة من هذه المدن ، يعبر عنها انها اشبه بواحه يتعلقاتها الخاصة والتي ترجع الى ماض قديم جدا .

هناك عنصر اخر نلاحظ في سبيل هضم مفهوم المكان او الفضاء وهو المتعلق بروابط المفردات اللغوية المحددة للفضاء الفسيح المستوي والمفردات المحددة لاماكن المرتفعات الجبلية ، ونجد الكلمة Kur في السومرية وهي تشير الى الجبل وبنفس الوقت الى البلد او المدينة وترجم مثل الكلمة الاكدية mātu , shadū والاولى تعني الجبل والفضاء والفسيح المستوي وبنفس الوقت تعني الصحراء ايضا . هذا بينما نجد ان السومريين يفسرون المكان الجبلي بصورة ترادف العدوان وتعني اذن Kur عندهم ايضا : العدو .

وفي الواقع فان الهجمات التي تعرضت لها شعوب وادي الرافدين الجنوبية كانت منطلقة من الجبال الواقعة الى الشرق من هذا الوادي ، ومن هؤلاء المغيرين كان الكوثيون والعيلاميون والكاشيون . والتناقض الكائن بين المنطقة الجبلية والمنطقة المستوية ليس اكثر من مظهر وفي رأي العلامة جورج دوسان^(١) يقول فيه : « ان الاراضي المستوية الصحراوية التي تبدأ من اطراف وادي النهر تبدو للسالكين على اطراف النهر اكثر ارتفاعا من الاراضي التي يسكنون عليها » ونعرف ان بدو منطقة ماري « تل الحريري » يطلقون على المنطقة

اقتصادية مستقلة او منفردة . في حين ان الواقع المادي لهذه المدن من الناحية الاثرية يثبت عكس ذلك اذ ان وجود الاسواق كائن في داخل المدن اي في مركزها .

وان القسم او الجزء من الارض الواقعة خارج جدران المدينة يكون بمثابة ضاحية للمدينة ، ويكون هذا القسم متميزا بجوه العام قياسا الى جو المدينة . ويكون هذا بنفس الوقت تابعا لها اي للمدينة . اما الحقول الزراعية الممتدة في السهول وحتى المناطق المتوجة فيعبر عنها ايضا بالعالم الخارجي قياسا بالعالم الاقرب الى المركز وبالنسبة للمناطق ذات الاراضي المتوجة فتعتبر قاحلة ، وهي مناطق سكنى الحيوانات المتوحشة والشياطين . وهكذا تكون كل مدينة عالما مصغرا Microcosme ومستقلا ويكون هذا منفصلا بفضاء واسع غير مسكون او مأهول من قبل مجموعة بشرية اخرى من عالم مصغر اخر ، ويعني هذا عدم وجود مدينة اخرى مرتبطة بطريق خاص او بواسطة قتال بالمدينة الاخرى .

وان تركز الحياة الاجتماعية تصوغه كل مدينة من بيوت السكنى ومن قصر المدينة ومركز الحكم او الملك ومن ثم المعبد ، والاخير اكثر الاماكن حساسية في تكوين المدينة ، والذي يسمى باسم اله المنطقة، وتكون مجموع هذه العناصر الصفات الخاصة للمدينة وتميزها بانفرادية معينة . وهكذا نجد ان مدنا مثل الوركاء وسيار وبابل ومدن عديدة اخرى في وادي الرافدين ظلت محافظة كل منها على شخصيتها المستقلة الخاصة المميزه . اما المشاكل التي

سلسلة جبلية تتكون من سبعة او اربعة عشر جبلا وعلى قمم هذه الجبال تتركز السماء وتكون هذه الجبال بنظرهم ، حدود العالم •

ان منظور الاكديين للعالم بهذا الشكل (١) نجده مجسما في رقيم طيني « محفوظ اليوم في المتحف البريطاني » حيث رسمت عليه خارطة للعالم مثلما تصوروه: نجد الارض في هذه الخارطة كائنة في الوسط وسرة الارض هي مدينة بابل والارض محاطة بدائرتين سموه : Nar Marrātu الذي يعني النهر المالح ، ويراد به المحيط • وبعد الدائرة الثانية نجد تخطيطا لسبعة اشكال مثلثة ذات ضلعين متساويين اما القاعدة فانها تكون محيطة بالنهر المالح ، ولقد كتب على كل مثلث وفي القمة كلمة nagû اي منطقتا ويراد بهذه المثلثات بدون شك ان ترمز الى الجبال المحيطة بالارض ومن بينها الجبل المسمى Marhu الذي يرد اسمه في ملحمة كلكامش ويكون هذا الجبل في انتظار الشمس كسل يوم في خروجها ودخولها ، وذكر ان قمته تصل الى حد انحدار السموات ومن الاسفل يلامس صدره جهنم •

ان كلمة اخيرة تتعلق بالمكان في وادي الرافدين

الصحراوية الواقعة بين سوريا والجزيرة العربية جلا •

من المفاهيم الاخرى التي تساعدنا على فهم الموضوع خارج حدود الاطار الجغرافي نعرف ان النضاء او المكان القاحل، مثل الجبل ، يمثل للبابليين وحشا فيه روح العداوة ويمثل ايضا للعالم الخارجي نفس المفهوم المستخدم من قبلهم Belit-sari الذي يعني سيدة الارض او البلاد المرتفعة هو في الواقع كناية لآلهة الجحيم ، كذلك سمي الاله نرغال اله جهنم وسمي بملك البلاد او الاراضي المرتفعة • والاله انليل المعروف بقساوته الجهنمية ، سمي ايضا بـ « الجبل الكبير » KUR. GAL وسمي ايضا « سيد البلاد والاراضي المرتفعة » •

والكلمة الاكديّة Arailû التي تعني

العالم الاخر، تشير ايضا وترمز مرة الى الجبل ومرة الى الصحراء وتعني كذلك الارض الواسعة ذات الهضاب •

وكذلك نجد ان الاكديين اعتقدوا بان حدود

الارض محاطة بمجال مائي يحيط بارض مثل نهر طويل وخلف هذا المجال المائي اعتقدوا بوجود

نمناخ : اي السيدة الكبيرة الى جانب تسمياتها الاخرى • ورلد انليل القمر « نانا » الذي اصبح ابا الشمس (اتو) • ومن اتصال انليل مع كي جاءت النباتات والحيوانات والبشر وذلك بمساعدة اله المياه انكي • انظر للتوسع في عرض وترجمة هذا الملخص كتاب :

S. N. Kramer: Sumerian Mythology. Philadelphia, P 40.

T. Jacobsen: JNES. 5 (1946) P. 128-152.

P. Garelli: Le proche-Orient Asiatique. paris, 1969 P. 288

« المترجم »

(١) في الواقع هناك نظريات متنوعة فيما يخص خلق العالم والكون انطلق من قبل مفكري سكان وادي الرافدين القديم ، وتلعب المياه المادة الاولى في عملية خلق العالم حسب الاساطير السومرية وهي الاصل في غالبية الاساطير التي عرفت فيما بعد سواء في وادي الرافدين او في مناطق الشرق الادنى القديم الاخرى ، ومن المياه ظهرت المرتفعات ومنها السماء والارض ومن الاثنين وتزاوجهما ولد اله الجو او الهواء وهو انليل الذي استطاع ان يفصل السماء عن الارض ، وحمل الاله انو السماء ، واختصت والدة انليل ، كي ، بالارض وسميت كي بعدئذ

كذلك نجد تسميات خاصة مثل يمين ويسار تدخل ضمن الكلام عن الشمال والجنوب ونجد ذلك مثلا في نصوص مدينة ماري « تل الحريري »^(١) ، وما هو متعلق بجهة اليمين واليسار فاننا في الواقع لا نعرف في الاصل تمييزاً خاصاً ومفهوماً معيناً لما يراد بجهة اليسار في حضارة وادي الرافدين ، وذكر ربح اليمين يقصد به مثلا ربح الجنوب وهي ربح مؤذية بينما الريح من اليسار ويراد بها ربح الشمال تكون ريحا عليلة « طيبة » .

علينا بعد ذلك ان نفهم اهمية تقسيم الحيز المكاني او الفضائي في مجال وضعية المدن في المنطقة الواحدة اي مدن في جهة اليسار واخرى في جهة اليمين . كذلك الحال بالنسبة للحقول المزروعة ويلاحظ في جهة الحقل كمية الضريبة المدفوعة وهي نسبة العشر .

كذلك في عالم الطب وتشخيص الامراض ففهم من دراسات البروفسور رينه لابات: ان تشخيص مرض ما في الجهة اليسرى من جسم المريض يمكن ان يحمل تفسيراً سيئاً اكثر مما لو كان المريض مشخصاً في جهة المريض اليمنى . واخيراً فان اعتبار جهة اليسار بهذا المفهوم يمكن ان يكون بتأثير دراساتهم للكواكب والافلاك ومن تأثير علم التنجيم والعرافة والفأل ايضا .

وتخص هذه الرياح الاربعة التي خلقها من قبل الاله آنو فمن اجل تحريك واثارة الفوضى نجد ان الهة السماء تقوم باثارة الالهة تيامت ، ولم تحدد حركة الفوضى^١ باتجاهات في الفضاء فقط بل ساهمت هذه في تحريك واثارة الاتربة التي انطلقت لتحمل اولى عناصر التمييز .

وهكذا فان اتجاهات الحركة في الفضاء او المكان وكذلك في الزمان تكون عنصراً ديناميكياً خلافاً بكل معنى الكلمة . والرياح تعتبر نفث وكلام ، ودورها في الحياة اليومية يرجع الى ازمان سحيقة ، ونعرف ان العلامة المسماة التي ترمز الى النهار او اليوم وترمز الى الشمس تعني ايضا الرعد والعاصفة ، كذلك من المحتمل ان تكون الرياح السبعة الخاصة بالاله آنو ، الهة قديمة في الاصل انحدرت بعد ذلك لتصبح من ضمن طبقة الشياطين ولكننا نجد في اسطورة الاينو ما يلبس ان هذه الرياح السبعة هي من فعل وخلق الاله مردوخ حين التحضير لصراعه ضد الالهة تيامت . نذكر ايضا ان اسماء الرياح الاربعة وهي حسب ترتيبها litānu ' shūtu ' shadū ' amurru ربح الشمال وريح الجنوب والريح الشرقية واخيراً الريح الغربية ، تشير هذه الرياح واتجاهاتها الى الاتجاهات الاربعة المعروفة .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی